بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذى عَلَّمَ بالقلم ، عَلَّمَ الإنسانَ مالم يعلم . . الحمد لله الذى أعد للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، أعدَّ لهم مغفرةً وأجرًا عظيماً .

الحمد لله الذى أرسل رسوله الأمين للناس كافة داعياً ومعلماً ، يدعوهم إلى الله ويعلمهم كتابه ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى صراط مستقيم :

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1]

والصلاة والسلام على من جَعل الله رسالته رحمة عامة شاملة :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]

---

(١) سورة المائدة آخر الآية : ١٥ وكل الآية: ١٦ .

(٢) سورة الأنبياء ـ الآية : ١٠٧ .

والصلاة والسلام على من وصفه الله بالخُلُقِ العظيم فقال :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١)

والصلاة والسلام على من ترك لنا كتاب الله المُحكَم ، وسُنته الشارحة المبينة ، وهما العاصم لمن تمسَّك بهما واهتدى بهديهما :

[تَرَكْتُ فِيكُم أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا : كِتَابَ الله وسُنَّتِى] .

والصلاة والسلام عَلى مَنْ أوصانا بالنساء خيراً فقال :

[اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا] .

وبعـــد :

فيأيتها الأخت المسلمة ، هذا كتابى بين يديكِ . .

وقصتى مع هذا الكتاب ترجع إلى أكثر من ربع قرن .

كانت البداية مناقشات دينية هادفة داخل إطار الحَرَم الجامعى فى أثناء معايشتى للطلبة والطالبات خلال سنوات دراستى الجامعية ، وكان جوهر هذه المناقشات يدور حول مدى صلاحية أحكام وقواعد الشريعة الإسلامية لحل مشاكل حياتنا العصرية الحديثة بصفة عامة ، وما يتعلق منها بشئون المرأة مِنْ مَلْبَس وزينة واختلاط بصفة خاصة . وللأسف كان بعض العائدين من أوربا بعد استكمال دراساتهم يعتقدون أن الشريعة الإسلامية لاتصلح للتطبيق فى حياتنا العصرية ، والحقيقة أن هذا الاعتقاد أساسه الجهل بأحكام الشريعة الغراء ، ولاسند له من الواقع المحسوس . كما أن العلة الحقيقية لما نحن فيه من مشاكل إنما هو أيضاً الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية ، وإهمال تطبيقها على كمالها وسموها ، تلك الشريعة التى نزل بها القرآن العظيم ، وأتانا بها الرسول الكريم ﷺ . فالله سبحانه وتعالى أنزل آياته البينات شاملة كاملة ، جامعة مانعة ، محققة سعادتنا فى الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة القلم ـ الآية : ٤ .

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١)

فنحن ـ معشر المسلمين والمسلمات ـ يسرنا أن ننتسب للإسلام ونفخر به ، ولكننا نجهل أهم أحكامه ، ونهمل أعظم مقوماته ، وإن أعظم مقومات الإسلام هو العمل بأحكامه ، فالإسلام لم يوجد إلا لتُعرف أحكامه وتُقام شرائعه وشعائره التى هى وحدة لاتقبل التجزئة وجُملة لاتقبل الانفصام ، لأن أخْذَ بعضها دون البعض لا يؤدى إلى تحقيق الغرض منها ، وعليه فلا يكفى المرأة المسلمة أن تُصلى وتصوم وتزكى وتحج ، وإنما يجب أن تأخذ بكل ما جاء بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فى حياتها كلها : عقيدتها وسلوكها ، عباداتها ومعاملاتها ، مظهرها ومخبرها ، علمها وعملها ، حياتها الزوجية وتربيتها لأولادها ، علاقاتها مع أسرتها ، وعلاقاتها مع أفراد المجتمع ، وكل ما يتعلق بأمور حياتها فى الدنيا والآخرة ، ملتزمة بما جاء بالكتاب والسُّنة ، مقتدية بأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن ، وبذلك تستطيع أن تعيش فى سعادة وطمأنينة ورضاً ورضوان من رب العالمين .

ثم كانت المواسم الثقافية بالجامعة ، والتى أتاحت لنا إقامة ندوات دعونا إليها بعض علماء الدين ، وعلماء الاجتماع ، وقادة الفكر والأدب والصحافة ، وكان محور كثير من هذه الندوات يدور حول وضع المرأة فى الإسلام ، وكثيراً ما كانت هذه المناقشات تأخذ اتجاهين متضادين ، وكلاهما متطرف : اتجاه يحرم كل شىء على المرأة ، بدون استثناءات ، واتجاه يحلل كل شىء للمرأة ، بدون قيود ولا ضوابط !

وكان شغلى الشاغل مواصلة البحث عن الحقيقة والصواب والسداد فى الرأى فى إطار كتاب الله وسُنة رسوله ، لوجه الله ولوجه الحق ، وحسبى أن للإنسان الصادق المخلص فضلاً إنْ أخطأ ، وأفضالاً إنْ أصاب . وكان الوصول للحقيقة التى تحدد لنا المدخل إلى الطريق الصحيح متمثلة فى قوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (٢)

---

(١) سورة المائدة ـ من الآية الثالثة .

(٢) سورة البقرة ـ الآية : ١٤٣ .

إنَّ عظمة الإسلام أنه نَظَّمَ صلة الإنسان بربه ، وصلة الإنسان بمجتمعه ، وصلة الإنسان بالإنسان ، نظم كل العلاقات الروحية والمادية ، الفردية والاجتماعية ، فلم يهتم بناحية على حساب الأخرى حتى لاتطغى واحدة على غيرها ، فلم تطغ فيه المادة على الروح ولا الروح على المادة ، فالإسلام منع الغُلو فى الدين وتعذيب النفس ، والإسلام أباح الطيبات، والزينة بدون إسراف :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ (١)

وقال الرسول لمن لم يتزوج وهو صحيح موسر : [فَأَنْتَ إِذَنْ من إِخْوانِ الشَّياطِينِ] .

وقال ﷺ لمن عزم على قيام الليل كله ومواصلة الصوم : [إِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وإِنَّ لِبَدَنكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ ، وقُمْ وَنَمْ] .

كما أن الإسلام وضع حلولاً لمشاكل الحياة كافة ، فالالتزام بأحكام كتاب الله وسُنة رسوله يفتح أمام المسلمين والمسلمات أبواب الخير والسعادة والرضا ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٢)

﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ (٣)

كما أن الالتزام بأحكام كتاب الله وسنة رسوله لن يغلق على أحد ينابيع المتعة الحلال والاستمتاع بالحق والعدل بما يملأ الكون من خير ومال وجمال وطيبات :

---

(١) سورة الأعراف ـ من الآية : ٣٢ .

(٢) سورة الأعراف ـ من الآية : ٩٦ .

(٣) سورة الجن ـ الآية : ١٦ .

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١)

ويقول الإمام ابن القيم الحنبلى :

« إن الشريعة عَدْلٌ كلها ، ورحمة كلها ، وإنَّ كل مسألة خرجت من العدل إلى الظلم ومن القسط إلى الجور ومن الرحمة إلى القسوة فليست من الشريعة وإنْ أُدخلت فيها بالتأويل » .

ثم مع بداية حياتى الاجتماعية واصلت البحث لأجد أن الإسلام الحنيف قد نظم لنا كل صغيرة وكبيرة فى أمور حياتنا الزوجية ، وما على كل زوجين إلا أن يعيشا معاً فى إطار المنهج الإسلامى عقيدة وسلوكاً ، إيماناً وعملاً صالحاً ، ليتحقق لهما آية الله سبحانه بالسَّكَن والمودة والرحمة :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢)

وعندما أنعم الله علىَّ بنعمة الأولاد واصلت البحث أيضاً لأجد أن الإسلام قد وضع لنا منهاجاً كاملاً للتربية ، وما علينا ـ نحن الآباء والأمهات ـ إلاَّ أن نخشى الله ونتقيه ونقول قولاً سديداً ، نخشى الله فى كل شىء : فى أنفسنا ، وفى أولادنا ، ونتقى الله حيثما كنا لنعيش فى رحاب قوله تعالى :

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٣)

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية : ٣٢ .

(٢) سورة الروم ـ الآية : ٢١ .

(٣) سورة النساء ـ الآية : ٩ .

وصدق الله العظيم القائل :

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ (١)

ومن خلال معايشة واقعية فى إطار كتاب الله وسُنة رسوله فى رضا ورضوان من رب العالمين بالجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة كان التطبيق العملى لكل ما جاء بكتاب الله وسنة رسوله ، أَخْذًا وتَرْكاً ، وحُبًّا وبُغْضًا ، وقولاً وعملاً ، وسلوكاً وتطبيقًا ، حيث الدين الخالص .

ومن خلال قراءات لعشرات من المؤلفات الدينية فى مجال التفسير والحديث ، والقصص القرآنى ، والسيرة ، والتاريخ الإسلامى ، والمؤلفات العلمية فى مجال علوم الوراثة والأجِنَّة ، والتغذية ، والمؤلفات النظرية فى مجال علوم الفلسفة والتاريخ والاجتماع وعلم النفس والتربية ، ومن بين نتاج التجربة وخلاصة الفكر ، أقدم كتابى هذا لكل فتاة مسلمة تعتز بدينها ، وتفخر بانتسابها للإسلام .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (٢)

ولقد حاولت جهدى بما أفاض الله علىَّ من نور القرآن وهَدْيِ سُنة سيد الأنام أن أتناول بالبحث والشرح كل ما يهم المرأة المسلمة ، بنتًا وأختاً وزوجة وأُمًّا ، وما لا غنى عنه لأى فتاة مسلمة أن تتعلمه وتعى أحكامه ، من حقوقٍ لها وواجبات عليها فى أمور دينها ودنياها ، فى جو تسوده الكرامة والعِزة ، ويسوده الاحترام والتقدير فى ظل الإسلام الحنيف ، فليس هناك تشريع سماوى ولا قانون وضعى أعطى المرأة حقها ،

---

(١) سورة الأنعام ـ من الآية : ٣٨ .

(٢) سورة التوبة ـ من الآية : ١٢٢ .

وصان عرضها ، وحافظ على كرامتها وشرفها مثل أحكام الشريعة الإسلامية الغراء .

ويجدر بنا أن نشير إلى المواضيع التى تناولنا بحثها وشرحها فى هذا الكتاب ، والتى تنقسم إلى ستة أقسام ـ مجلدات ـ رئيسية :

يتضمن القسم الأول منها ثلاثة أبواب :

أولها : عن حالة المرأة فى عهود ما قبل الإسلام، فلقد رأيت أنه يجب قبل معالجة موضوعات حقوق المرأة وتكريم الإسلام لها أن نعرض أولاً للحالة التى كانت عليها المرأة فى العهود السابقة على الإسلام سواء فى ظل الحضارتين الرومانية واليونانية أو فى ظل الديانتين اليهودية والمسيحية أو لدى العرب فى الجاهلية قبل الإسلام ليتضح مدى ما كانت عليه المرأة من ذلة ومهانة واحتقار .

ويتضمن الباب الثانى عرضاً تفصيليًّا لما حظيت به المرأة من تقدير لا مزيد عليه ، وتكريم لا حدود له فى ظل الإسلام ، بداية بالحقوق الإنسانية العامة ، وكيف أنها خلقت والرجل من أصل واحد ، متساوية معه فى التكاليف والحساب ثواباً وعقاباً ، وكيف أعطاها الإسلام الحق الكامل فى حرية الاعتقاد ، والمبايعة ، والشورى ، وإبداء الرأى ، والهجرة ، والجهاد ، والإجارة ، والأمان ، والتقاضى ، والقصاص ، مع بيان الحقوق المالية للمرأة ، من تَمَلُّكٍ ، وحرية كاملة فى التصرف فى ملكها ، وحق خالص فى الصداق ، وحق كامل فى الميراث ، بعد أن كانت محرومة منه حرماناً مطلقاً ، ليس هذا فحسب ، بل إنها كانت تُوَرَّثُ كما يُوَرَّثُ المتاع .

والباب الثالث : عن حق المرأة فى العِلم والعَمل ، وأوضحنا فيه حق المرأة فى التعليم والتعلم ، وكيف أن الإسلام جعل طلب العلم فريضة عليها كما هو فريضة على الرجل سواءً بسواء ، وإذا كان الإسلام لايضع قيوداً على نوعية ما تتعلمه المرأة ، فإنه يوجه دائماً إلى أن تسير المرأة فى كل أمور حياتها فى اتجاه يتناسب مع وظيفتها الأساسية التى فطرها الله عليها .

ثم انتقلنا إلى دراسة قضية خروج المرأة للعمل ، وكيف أن الإسلام ـ وهو دين واقعى

ـ لم يحرم المرأة من العمل ، ولكنه يضع ضوابط للضرورات الملجئة لذلك ، سواء كانت ضرورات اجتماعية أو فردية .

وقد أضفنا لمحات من آراء بعض المفكرين والمفكرات فى الشرق والغرب حول خروج المرأة للعمل ، ثم تكلمنا عن بيت المرأة المسلمة وما يجب أن يكون عليه من جمال ونظافة حسية وطهارة روحية ، وواجب الزوج بأن يكون قدوة طيبة لزوجته وأولاده ليكون البيت المسلم خلية إيمانية متكاملة .

أمّا القسم الثانى فيتضمن بابين :

أولهما : عن الحياة الزوجية وتوجيهات الإسلام من لحظة التفكير فى الخطوبة حتى ليلة الزفاف ، والأسس التى وضعها الإسلام للاختيار ، وشروط صحة عقد الزواج ، واحترام الإسلام لرغبة الفتاة ورضاها عَمَّنْ تتزوجه ـ والمهر الذى جعله الإسلام حقًّا خالصاً لها دون سواها ، وتوجيهات الإسلام فى حفل الزواج وفى العلاقات الحسية بين الزوجين ، وفى منع الحمل والإجهاض .

وثانيهما : عن الحقوق الزوجية والقوامة التى جعلها الإسلام حماية للمرأة وأمنًا ، قيادة وإرشادًا وتوجيهًا ، وكيف أن كل حق للزوج لدى زوجته يقابله واجب عليه إزاءها ، كما أن كل حق للزوجة لدى زوجها يقابله واجب عليها إزاءه .

والقسم الثالث يتضمن بابين

أولهما : عن وسائل الإسلام العديدة والمتنوعة فى المحافظة على الحياة الزوجية عند نشوز أى من الزوجين ، أو عند وجود شقاق بينهما ، والضوابط الكاملة التى وضعها الإسلام لتنظيم الطلاق الذى هو أبغض الحلال إلى الله ، وحماية الإسلام لحقوق المرأة فى حالة الانفصال ، مع لمحة عن منع الطلاق فى المسيحية وما نتج عنه من مفاسد لا حدود لها .

وثانيهما : عن تعدد الزوجات والشروط والحدود التى وضعها الإسلام

للتعـدد ، وكيف أن الإسلام لم يجعل التعدد حقًّا مطلقاً للرجل يفعله كيف يشاء .
مع إلحديث تفصيلاً عن تعدد زوجات الرسول ﷺ ومبرراته وظروفه الملجئة ، ولماذا انفرد الرسول بأكثر من أربع ، والرد على افتراءات المضللين فى هذا المجال .

ثم كان القسم الرابع متضمناً بابين :

أولهما : عن وسائل الإسلام فى المحافظة على كرامة المرأة ، وكيف أن الإسلام وضع عقاباً أليماً وجزاءً رادعاً لرمى المحصنات ؛ ليحمى ويصون عرض المرأة الملتزمة حتى من كلمة السوء ، وكيف أن الإسلام وهو يوجه الفتاة المسلمة نحو الالتزام بالمشى على استحياء ، وغض البصر ، وعدم إبداء الزينة ، وإدناء الجلباب بما يتفق مع أدب الشرع الإسلامى ، إنما يجعل ذلك وسيلة لحمايتها وصيانتها والمحافظة على كرامتها .

وثانيهما : عن المرح واللهو والغناء والموسيقا ، وكيف أن الإسلام ـ وهو دين الفطرة ـ يأخذ فى الاعتبار أحاسيس البشر وعواطفهم وغرائزهم ، وفى نفس الوقت يضع ضوابط لما يبيحه الإسلام ولما يحرمه فى ذلك المجال حفاظاً على المجتمع الإسلامى من الميوعة والانحراف .

وفى لمحات سريعة عرضنا لما ينسب للمرأة من مفاهيم خاطئة والمرأة بريئة منها ، ثم تكلمنا عن الشخصيات النسوية فى القرآن الكريم ، مع الإشارة إلى قصة السيدة مريم عليها السلام التى اختصها الله بالتسمية دون سواها .

ثم حديث القرآن عن المرأة ، من قوة الفراسة وحسن الحيلة وبُعد النظر فى بنات شعيب ، وأخت موسى ، وملكة سبأ ، مع إشارة إلى موقف الإسلام من تولى المرأة للحكم والقضاء .

وعرضنا فى حديث التاريخ عن المرأة نماذج من نساء تَوَلَّيْنَ الحُكم ، ونساء زاهدات ، وأمهات خالدات ، ختاماً بأعظم الأمهات شرفاً وفضلاً السيدة آمنة بنت وهب ، أم المصطفى ﷺ .

وأمَّا القسم الخامس : فهو عن المرأة بين العبادات والبدع والكبائر .

فأوجزنا فى لمحات سريعة ما يجب أن تراعيه المرأة فى العبادات ، خاصة أثناء ما يعتريها من حالات حَيْض وحَمْلٍ ، ونفاس ، وإرضاع .

وما يجب أن تقلع عنه المرأة من بدع سيئة ، خاصة فى حالات الموت .

ثم لمحات عن بعض الكبائر التى يجب أن تتجنبها المرأة حتى تكون الإنسانة المسلمة مثالاً طيباً ، ونموذجاً طاهراً ، معتزة بإسلامها ، ملتزمة بقرآنها وسُنة نبيها عليه الصلاة والسلام.

ثم كان القسم السادس والأخير متضمناً بابين :

أولهما : عن فلذات الأكباد ومنهج الإسلام وتوجيهاته فى تربيتهم ، مع التركيز على القدوة السلوكية للأب والأم والمُرَبِّى ، وأثر ذلك فى التربية ، مع لمحات حول بعض الدراسات الاجتماعية والتربوية من الشرق والغرب ، وخاصة فيما يتعلق بحنان الأم وأثره فى تربية الطفل .

وثانيهما : عن بر الوالدين وصلة الرحم .

فكان لابد ونحن نتحدث عن تربية الأولاد أن نتحدث عن بر الوالدين ليكون برنا لآبائنا قدوة طيبة وأسوة حسنة لأبنائنا ، مصداقاً لقوله ﷺ : [**بَرُّوا آبَاءَكُم تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُم**] مع الحديث عن صلة الرحم فى إطار مبدأ الصلة لله ، والهجر لله .

وفى الختام نأمل من كل فتاة مسلمة وفقها الله لاستيعاب ما جاء بأبواب وفصول هذا الكتاب أن تُحَوِّلَ العِلْم إلى عَمَل ، والمعرفة إلى فِعْل ، والعقيدة إلى سلوك ، فى إطار كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ ، فالإيمان ليس معرفة فحسب ، فإبليس كان يعرف أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وأن عيسى وموسى وبقية الأنبياء رسل الله ، ومعرفته بهذه المسائل هى من القوة والثبات بحيث تزيد على معرفة كثير من المؤمنين ، ولكنه مع ذلك استحق اللعنة والطرد من رحمة الله ؛ لأنه عصى وأبى واستكبر ، إنما الإيمان هو خشوع وخضوع لله عز وجل ، هو سجود القلب والجوارح لله ، استجابة لما

أمر به وما نهى عنه سبحانه وتعالى ؛ لذلك فإن أسلوب كتاب الله فى أبسط صوره هو فى قوله تعالى :

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ ﴾ (١)

العمل فى ضوء من تقوى الله ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ (٢)

فالتقوى هى إيجابية الحياة فى ضوء كتاب الله وسنة رسوله ، وأفضل تعبير عن حبنا للكتاب والسنة هو أن نترجمها إلى حياة نابضة بدون إغراق فى مثالية معجزة أو واقعية عاجزة ، عَلَّنَا بذلك ننال سعادة الدارين ، ونعيش فى إطار قوله تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٣)

والإنسان ليس معصوماً من الخطأ ، وكأن الله سبحانه أراد أن يصدر منا الخطأ حتى لا نُصابَ بالغرور ، ولينبهنا ـ عز وجل ـ دائماً إلى أننا بَشَر ، لنا أن نصيب وأن نخطىء .

فالله سبحانه وتعالى أسأل أن يعصمنى من الزلل ، وأن يجعل كتابى هذا وافياً للغرض ، تطمئن به القلوب ، وتنشرح به الصدور ، وتزكى به النفوس ، وتهدى به العقول ، وتُضاء به الأبصار ، وأن يجعل جهدى هذا خالصًا لوجهه الكريم ، أنجو به من عذاب الجحيم ، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ، إلاَّ مَنْ أَتَى الله بقَلْبٍ سليم ، إنه تعالى نِعْمَ المولى ونعم المصير .

---

(١) سورة التوبة ـ من الآية : ١٠٥ .

(٢) سورة النساء ـ من الآية : ١٣١ .

(٣) سورة النحل ـ الآيتان : ٩٦ ، ٩٧

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين .

المؤلف

(صلاح عبد الغنى محمد)

القاهرة فى : ١٢ من ربيع الأول ١٤٠٥ هـ

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية : ٢٨٦ .

تنـويـــه

تم بحمد الله وتوفيقه الانتهاء من إعداد هذه الموسوعة أثناء وجودى بسلطنة عمان ، وقد تفضل فضيلة الشيخ « أحمد بن حمد الخليلى » المفتى العام لسلطنة عمان بالاطلاع على النسخة الخطية لهذا الكتاب . .

كما تفضل فضيلة الأستاذ الشيخ « أبو الحسن محمد على » عميد معهد الفتيات الثانوى الأزهرى بالمعادى (الأسبق) وفضيلة الأستاذ الشيخ « محمد زكى حسب النبى » مدير المساجد الأسبق بوزارة الأوقاف بمراجعة هذا الكتاب ، وكتب كل واحد من هؤلاء العلماء الأفاضل تقديماً للقارىء حول انطباعه عن هذه الموسوعة ، فجزاهم الله عنى خير الجزاء وأوفاه .

صلاح عبد الغنى محمد

بسم الله الرحمن الرحيم
تقديم لفضيلة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي
المفتى العام لسلطنة عمان

الحمد لله الذى خَلَقَ فَسَوَّى ، وقَدَّرَ فَهَدَى ، ونَوَّعَ الخلق ، فجعل منهم الزوجين : الذكر والأنثى ، والصلاة والسلام على أفضل الرسل ، الهادى إلى أرشد السُّبل ، سيدنا محمد ، الذى أخرج الإنسانية من أوحال الجاهلية ، وارتفع بها إلى قمم الفضائل العلية ، وعلى آله الأطهار ، وصحابته الأبرار ، وكل من سلك مسلكهم إلى يوم الدين ، وبعد :

فقد اقتضت حكمة العَلِيِّ الأعلى ـ سبحانه ـ تنويع الجنس البشرى إلى ذكر وأنثى ، ليتم فى إطار هذا التنويع التكامل الإنسانى ، والتكافل الاجتماعى ، وما ينتج عن ذلك من التناسل واستمرار وجود الإنسان على الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولما كانت رعاية خصائص الفطرة التى فطر عليها كلا النوعين ضرورة ملحة تستوجبها الحياة ، ويقتضيها النظام ، لا جَرَم كان تلبس أى واحد من هذين النوعين بخصائص النوع الآخر أمرًا تأباه الطبائع السليمة ، وترفضه العقول المبصرة ؛ لما فيه من الإخلال بالنظام ، والتنكر للفطرة ، والاصطدام بالطبيعة .

ومن حيث أن دين الإسلام هو دين الفطرة أنزله ـ بعلمه ـ مَنْ فَطَرَ الفِطَرَ ، وطبع الطبائع ، وخلق الخلق ، وهو العليم بطبائع خليقته ، الخبير بما تستوجبه حياة أى أحد وتقتضيه مصلحته ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[1] خص هذا الدين

(١) سورة الملك ـ الآية : ١٤ .

الحنيف كل واحد من هذين النوعين بأحكام تلبى نداء فطرته ، وتُزكى جوهر طبيعته ، وتحفظ ما خصه به من مواهب ، وأودع فى طبيعته من طاقات ، وتسير بحياته سيراً طبيعيًّا بعيدًا عن الميوعة والانحراف .

والإسلام عندما جاء بهذه الأحكام كان فى منتهى الصرامة والشدة ، لا يتساهل فى تردد المسلم بين قبولها ورفضها ، ولا يتسامح فى تفريطه فيها :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾[1]

فالمسلم لا يملك تجاه هذه الأوامر وغيرها من أوامر الله إلا الرضا والتسليم والإذعان ، والقبول والانقياد والطاعة .

ولقد علم سبحانه ـ وهو العليم بكل شىء ـ ما يترتب على تلبُّس المرأة بخصائص الرجل والعكس من فساد الخُلُق ، والانحراف بالحياة ، وإهدار الطاقات وتجرد الإنسانية من القيم والأخلاق ؛ ولذلك صرح باستحقاق اللعن كل مَنْ تُسول له نفسه ذلك ، ففى الحديث الصحيح : [**لَعَنَ اللهُ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، والْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَال**] . وإذا علمنا أن اللعن لا يكون إلا على أمر عظيم ؛ لأنه الطرد من رحمة الله ، والإقصاء عن لطفه وكرمه ، أدركنا عظيم الخطورة التى ينطوى عليها تشبه الرجال بالنساء والعكس ، ولِمَ لا يكون كذلك وهو خروج عن فطرة الله وإنكار لحكمه وتضليل لحكمته ؟ فالله سبحانه لم يخلق الرجل ذكرًا والمرأة أنثى عبثاً ، وإنما فعل ذلك لحكمة بالغة علمها الناس أو جهلوها .

والرجل والمرأة كُلٌّ منهما مُطالَب بأن يستخدم طاقاته الجسيمة والعقلية ، وينمى مواهبه الظاهرة والباطنة فى إطار فطرته وحدود طبيعته ، وما الخروج عن هذا الإطار وتجاوز هذه الحدود إلا من أسباب اختلال نظام الحياة ، وبالتالى من أسباب الفوضى والاضطراب ، وفقدان التوازن وعدم الاستقرار .

---

(١) سورة الأحزاب ـ الآية : ٣٦ .

هذا ، ولقد كان للمرأة دور كبير فيما أصاب الأمة الإسلامية فى القرن الرابع عشر الهجرى من التدهور الخُلُقى والانحطاط الأدبى ، وذلك عندما شطت فى حياتها وجهلت أو تجاهلت طبيعة تكوينها ، وتمردت على أوامر دينها ، فتجردت من جلباب الحياء ، وفاخرت بخلع العذار ، وهتك الستار ، ونسيت مسئولية البيت ، ورعاية الأطفال ، وتربية الأجيال ، فخرجت إلى ميادين العمل غير عابئة بما يصيب البيت من خراب ، والأسرة من ضياع ، والمجتمع من اضطراب ، وإنما كل همها أن تتناسى أنوثتها ، وتتجاوز وظيفتها ، وتشارك الرجل فى جميع أعماله ، وتنتزع السلطة من يده؛ لتسترد بذلك فائت حقها المزعوم ، وتشبع رغبتها الجامحة فى التحرر والانطلاق ، فكانت فتنة عمياء اصطلى بجحيمها الرجال والنساء ، وتجرع المجتمع كله ثمارها المرة الوخيمة ، وتقلبت على جمرها الأجيال جيلاً بعد جيل . ولست أنحى باللوم فى ذلك على المرأة وحدها ، وإنما النصيب الأكبر من اللوم يعود على الرجل الذى سَوَّلَ لها وأملى لها ذلك الضلال ، وحَسَّنَ لها تلك القبائح ، وحَبَّبَ إليها ذلك التمرد والعصيان ، فلولا أن وقف الرجل الأرعن الهزيل تلك الوقفة النكراء مردداً الشعارات الزائفة ، ورافعاً الشارات الباطلة من تحرير المرأة ومساواتها بالرجل ، ورفع الكابوس عنها ، لما تردت المرأة إلى هذه الهوة السحيقة التى لا ينتشلها منها إلا لطف الله ورعايته وتوفيقه وهدايته ، وبالجملة فإن كل ما فى الأمر أن المرأة دعاها الرجل إلى الضلال فأجابت ، وأخذ بيدها إلى الفساد فطاوعت ، وبَغَّضَ إليها الفضائل والأخلاق فانسلخت منها ، وحبب إليها الرذائل والشهوات فارتمت إليها ، فباء كل منهما بإثمه ، وذاق كل منهما عاقبة أمره ، وكان عاقبة أمرهما خُسْرًا .

ولكن بما أن دعوة الله فى كل جيل بالغة ، وحجته ـ لابد ـ غالبة ، قيض الله رجالاً مخلصين لدينهم ، ونساء مخلصات لدينهن ، أخذوا يلوحون فى وسط دياجير هذه الفتنة المطبقة بمشاعل الهداية لتبصير الناس وإبانة الصراط السوى المؤدى إلى رضوان الله سبحانه : ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ (١)

(١) سورة الأنفال ـ من الآية : ٤٢ .

وكثيراً ما هاجت عواصف الضلال العنيفة من جانب عبيد الشهوات ، ودعاة الخَنَا، ورواد الفجور ، مستهدفة تلك المصابيح المتلألئة بأيدى دعاة الحق ، خشية أن ينحسر الظلام وتنجلى الحقيقة ، ويخسر هؤلاء الصفقة :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1]

فقد أخذت هذه الومضات تنمو وتتكاثر ، وأخذت حُجُب الظلام تتمزق وتتلاشى، وأخذت العقول تصحو ، وأخذت الأبصار تتفتح ، وأخذت الحقيقة تنكشف ، وبدأت المرأة تكتشف هويتها ، وتثوب إلى رشدها ، وتتلمس باحثة عن مكانتها الضائعة ، وكرامتها المفقودة ، وبدأ صوتها الهادى الوقور يقذف بكلمة الحق لتنبيه الغافلات من بنات جنسها ، فلا تلبث تلك الكلمة اللطيفة أن تتحول إلى نور ونار ، نور يضىء طريق الرجعة إلى الله لِمَنْ آثرتْ رضا الله على هوى نفسها ، فاختارت لنفسها سبيل الرشد وجانَبَتْ سبيل الغَىِّ ، ونار تشتعل فى قلوب الذين فى قلوبهم مرض ، والقاسية قلوبهم الذين يريدون أن يظل جسمها عارياً ليظل مسرحاً لأبصارهم الجائعة ، وأن تبقى أسيرة الشهوات ليطفئوا بها ظمأهم الجنسى المسعور ، وهكذا لاتزال المعركة بين حزب الله وحزب الشيطان مستعرة :

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[2]

فى وسط هذه المعركة الحامية الوطيس طلع علينا الأستاذ الباحث الكاتب الأديب «صلاح عبد الغنى محمد » حاملاً لواء الحقيقة ، هاتفاً بالالتفاف حول الحق ، مذكرًا كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، جامعاً فى موسوعته القيمة عن المرأة المسلمة شتات القضايا المتعلقة بالمرأة ، متناولاً بالنقد الموضوعى والتحليل الواقعى ما

(١) سورة التوبة ـ الآية : ٣٢ .

(٢) سورة الحج ـ من الآية : ٤٠ .

قيل فى موضوع المرأة ـ حقوقها وواجباتها ـ فكان بحثه من أحسن ما جادت به قرائح الكاتبين الإسلاميين فى موضوعه .

لقد تناول وضع المرأة قبل الإسلام عندما كانت تئن تحت وطأة الجاهلية ، إنْ سلمت من الوَأْدِ فى طفولتها فلن تسلم من الاستذلال والاستعباد فى جميع مراحل عمرها ، تُوَرَّثُ كالمتاع ، وتُبَاع كالبهيمة ، ليس لها حرية ولا إرادة ، كما تناول وضعها فى الإسلام عندما تحررت من الاستعباد ، واستمتعت بحرية الرأى ، ونالت ما لم تكن تحلم به من رفعة وشأن ، وأحيطت بسياج من الحشمة والوقار ، وصارت تُرْحَمُ وهى طفلة ، وتُصان وهى يافعة ، وتُكْرَم وهى زوجة ، وتُوَقَّرُ وهى أم ، ولا يفرط فى شىء من حقوقها وواجباتها ، سواء فى حياتها أو بعد مماتها . وعرض صوّرا من حياة المرأة المسلمة متجسدة فيها تعاليم الدين ، ماثلة فيها للعيان مكانة المرأة فى الإسلام ، بارزاً فيها دورها فى الحياة .

وأوضح ما جاءت به المدنية الحديثة فى مطاويها من فساد وانحلال أَدَّيا إلى تفكيك الأُسر ، وإذابة القيم ، وطىّ الفضائل ، ونَشْر الرذائل ، فكان ضررها أكبر من نفعها ، وشرها أعم من خيرها . وذكر موقف الإسلام الإيجابى منها ، وأوضح كيف انساقت المرأة المسلمة وراء المرأة الغربية تقلدها حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّة ، متجاهلة شخصيتها ، متجاوزة جميع حدود الدين والكرامة والشرف ، وما أصاب ـ نتيجة لذلك ـ المجتمع المسلم من انهيار خُلقى ، وتزلزل اجتماعى ، كادا يؤديان به إلى السقوط والاضمحلال .

وبجانب هذا التشخيص الدقيق للداء العُضال الذى أصاب هذه الأمة فى صميمها فأودى بحياتها أو كاد ، وصف الدواء وقربه ، إذ أوضح ما يجب للمرأة وما يجب عليها ، مسترشدًا بدلائل الكتاب والسنة ، وأقوال فقهاء الأمة .

وأسهب فى بيان الحياة الزوجية وحقوقها ، وما يحوطها به الإسلام من أحكام متقنة وأنظمة محكمة . ونقل عن كثير من منصفى الغرب الشيوعى والرأسمالى من أطباء

ماهرين وباحثين اجتماعيين ـ رجالاً ونساءً ـ ما يكفى كل مجادل دليلاً على أن مكانة المرأة الطبيعية هى المكانة التى بوأها إياها الإسلام ، وأن كل ما وُرِّدَ من شعارات جوفاء ظاهرها الرأفة والرحمة بالمرأة فى العصر الحديث إنْ هى إلا ستار لصنوف من المؤامرات ، ضحيتها الأولى هى المرأة نفسها ، وضحيتها الثانية مجتمعها .

ولم يغفل جانب الرجل ، وما يجب له أو عليه . وبالجملة فإن هذا البحث النفيس موسوعة فريدة فى موضوعه .

فإلى عشاق الثقافة معيناً سلساً يروى ظمأهم الفكرى ، وإلى رواد الحقيقة ما ينير لهم طريقها ، ويفتح لهم أبوابها ، والله ولى التوفيق ، أسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل من أخينا الكريم الأستاذ « صلاح » عملاً مباركاً ، وأن ينفع به المسلمين والمسلمات ، وأن يهدى به إلى سواء السبيل ، وصَلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أحمد بن حمد الخليلي
المفتى العام لسلطنة عمان
مسقط فى ٢٥ من صفر الخير ١٤٠٦ هـ

تقديم لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ
أبى الحسن محمد على
عميد معهد فتيات المعادى بالأزهر الشريف سابقاً

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد الهادى الأمين ، وبعد :

فقد اطلعت على (موسوعة المرأة المسلمة) للأستاذ الجليل ، والمؤلف الكبير صلاح عبد الغنى محمد ، فإذا بها روضة توشحت أعطاف غصونها بقلائد الزهر ، وتأرَّجت أرجاؤها بأريج ريحانها ، فكانت أبهج منظراً ، وأرق أثرًا ، من لطافة هذا التأليف الذى بلغ الغاية القصوى ، فلله هو من جنة عِلْم قُطوفها دانية ، لا تجد فيها لاغية ، وبَحرَّة فَهْم أضاءت شموس التحقيق ، وأشرقت أنوار التدقيق ، وحصن شُيِّدَ على الشريعة الغراء ، ورُفِعَ على دعائم الأدلة التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فَوَربِّى ، إن هذا التأليف يفتخر به العالمون ، ولمثل هذا فليعمل العاملون ، فيه من دقائق العلوم شواردها ، ومن لطائف الفهوم قلائدها ، وحوى من شتى المسائل مالم يحوه كتاب ، وتناسقت فيه المعانى ـ مع تناسق لطيف الألفاظ ـ تناسق العقد المنظوم ، قلد مؤلفه أجياده قلائد النعم ، فأثبت ما للمرأة المسلمة وما عليها ، وحقق بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة ما للجنة يوصلها ، وعن طريق الشر يبعدها .

لقد تناول المؤلف فى موسوعته ما يكون سببًا فى إسعادها وسعادتها ، ونأى بها عما يكون فيه شقاؤها وشقوتها ، ولم يغفل عما يزعزع العقيدة من بدع وخرافات وعادات تبعدها عن المجتمع الإنسانى فذكرها ، وبالأدلة الواضحة والحجج القاطعة من الكتاب الكريم وسنة الرسول أبعدها ، وبكل الوسائل التى تقرب العبد من ربه ـ كالوضوء ، والغُسْل ، وأداء الفرائض ، وغيرها ـ بينها ، وعمد إلى ضرب كثير من

الأمثلة بالاقتداء بزوجات الرسول صلوات الله وسلامه ورضوان الله عليهن ؛ إذْ كُنَّ القدوة الحسنة الصالحة لمن جئن بعدهن من المؤمنات الصالحات .

كما أنه لم يترك حُسن العِشْرة مع المرأة وبعلها ، بل ضرب فيه بسهم وافر ، وبين مالها وما عليها ، وأرشد إلى سلوك الطريق القويم ؛ لتدوم العشرة بينه وبينها ، وأوضح لها طريق النجاة من المحظور ، وترك العَنت والغرور ؛ لتنجو فى الدارين ، دارى الدنيا والآخرة ، وذكر لها من الكتاب والسنة ما يوصلها سالمة إلى الطريق الآخرة ، كما أوضح طريق تربية الأولاد ، وحُسن معاملتهم حتى الوصول إلى دار المعاد ، وأرشد الأولاد إلى حسن معاملة الآباء ، وما يجب أن يكون لهم أو عليهم ، مستدلاً بالمأثور والمنثور والمنظوم ، كما أنه لم يترك طريقاً يوصل إلى بر السلامة إلا طرقه ، كصلة الأرحام وحُسن معاملة الجوار .

وتناول المرأة المسلمة فى ملبسها وسيرها ، وحدود معاملتها مع غير زوجها ؛ لتنأى بنفسها عن الشبهات ، وتبتعد عن سفاسف الأمور والدناءات ، ولتكون عند الناس فى الحُسْنَى مضرب الأمثال ، وقدوة للأُخريات من بنى جنسها ، فتنال الثواب الجزيل من ربها .

ولم ينس المؤلف ـ جزاه الله ووالديه وأصحاب الحقوق عليه ومن له فضل عليه ـ أحسن الجزاء ـ أن يبين للمرأة المسلمة ، أن تبذل كل مافى وسعها ، لإزالة الشقة والخلاف بينها وبين زوجها ، إرضاءً له لتدخل جنة وعدها الله بها ، ولم يترك المؤلف شيئاً يختص بشئون المرأة ، أو يتعلق بها بالنسبة لها أو لغيرها ، ولهذا كان لزاماً على كل امرأة مسلمة تريد أن تحيا حياة طيبة أن يكون هذا الكتاب تحت يدها ؛ لتجد فيه سلوتها ، وليكون منهجاً قوياً لها ولأسرتها ، ترجع إليه فى الشدة والرخاء ، هذا وبالله التوفيق . .

أبو الحسن محمد على

عميد معهد فتيات المعادى سابقاً

ربيع الأول ـ ١٤٠٦ هـ

كلمة الأستاذ محمد زكى حسب النبى
مدير المساجد الأسبق بوزارة الأوقاف

الحمد لله ، هو الموفق للخير ، والمُعين عليه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، معلم الإنسانية ، والآل والصَّحْب ، أنْجُم الفضل وأعلام الكمال .

أما بعد :

فقد أُتِيحَ لى أن أُقلب صفحات هذا الكتاب ، أو بمعنى أدق ، تلك الموسوعة ، التى هى بحق «وابلٌ صَيِّبٌ من كَلِم طيب » ومؤلفها مسلم صادق ، تؤرقه هموم وطنه وقومه ، ويحدوه الأمل فى أن يعود المسلمون إلى حياتهم الأولى ، وتكون تلك التقاليد التى خَلَّفَها لنا السلف الصالح تقاليدَ مرعية ، وقد رأى بثاقب فكره ورأيه الصائب أن يدل المسلم والمسلمة والفتى والفتاة والأسرة على أمورٍ هم فى أشد الحاجة إليها لدينهم ودنياهم ، ووددت ـ وقد بذل المؤلف جهدًا كريمًا ـ أن يكون تجاوب كل من الفتى والفتاة كبيرًا فقطوف الكتاب دانية ، وهو بمسلكه الطيب يرى أن الوقاية خير من العلاج ، فإذا اضطر إلى العلاج فطبه ناجح ، وبلسمه شافٍ ، والحق : ليس لنا إلاَّ أن نضع أيدينا فى يد الله .

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1]

نفع الله البلاد والعِبَاد بهذا الكتاب الكريم . آمين .

محمد زكى حسب النبى

---

(١) سورة آل عمران ـ من الآية : ١٠١ .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله كما علمنا أن نحمد ، يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، وصلى الله وسلم على رحمته وخاتم رسله نبى الهدى والرحمة سيدنا محمد ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة لبنى آدم حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وبعد : فلقد عشت فى رحاب كتاب الله لأجد أن الإنسان ذكرا كان أم أنثى أكرم بكثير من كل تقدير عرفته البشرية من قبل للإنسان ومن بعد . إنه إنسان بنفخة من روح الله، إنه إنسان سخر الله له ما الأرض ؛ لذلك فإن عاش الإنسان فى رحاب الله وفى إطار منهج الله فإنه يعيش هادىء النفس مطمئن السريرة قرير الضمير ، فيد الله تعمل ، وليس لنا أن نستعجلها ولا أن نقترح على الله شيئا ؛ فالمنهج الإلهى نظم وشرع لكل أمور حياتنا البشرية ؛ لأنه موضوع ليعمل فى كل بيئة وفى كل مرحلة من مراحل النشأة الإنسانية وفى كل حالة من حالات النفس البشرية ، إن المنهج الإلهى موضوع لهذا الإنسان الذى يعيش على الأرض ، ذكرا كان أو أنثى ، مع الأخذ فى الاعتبار فطرة هذا الإنسان وطاقاته واستعداداته وقوته وضعفه وحالاته المتغيرة التى تعتريه .

إن المنهج الإلهى يأخذ بيد الإنسان ؛ ليرتفع به إلى أقصى درجات الكمال المقدر له بحسب تكوينه ووظيفته ، ويحترم ذاته وفطرته ومقوماته .

وإذا كانت المرأة قد شاءت لها الأقدار على مر العصور وفى مختلف الحضارات أن تهان وتستذل وتحتقر وتضطهد ، وأن يستأثر الرجل بكافة الحقوق والمزايا إلى أن جاء الإسلام فحظيت المرأة فى ظله بتقدير لا مزيد عليه ، وتكريم لا حدود له .

لذلك كانت هذه الموسوعة التى تدور حول المرأة فى ظل المنهج الإلهى ، فى ظل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والتى تعتبر حصاد عمرى وجهادى ، وحصيلة قراءاتى وكتاباتى فى إطار الكتاب والسنة ولعلى أكون قد وفيت حق إيمانى ، وأديت واجب عرفانى .

ويدور الجزء الأول من هذه الموسوعة « عن الحقوق العامة للمرأة » بدءا بتفصيل حالة المرأة فى عهود ما قبل الإسلام ؛ لكى تعرف المرأة كيف كرمها الإسلام وأعلى شأنها وأعاد إليها كرامتها وسيادتها ، بعد أن كانت على مر العصور قبل الإسلام مهينة ذليلة

لا وجود لها ولا كيان ، سواء عند اليونان ، والرومان أو عند الهنود والصينين، أو فى أوربا المسيحية أو فى ظل الديانة اليهودية .

فرغم أن اليونان كانوا من أرقى الأمم وأزهرها تمدنا فى التاريخ ، وكان من فلاسفتهم أرسطو وأفلاطون ، فإنهم كانوا يعتبرون المرأة من المخلوقات المنحطة التى لا تنفع لغير دوام النسل وتدبير المنزل .

وجاء الرومان بعد اليونانيين ، ورغم تقدمهم وازدهارهم فإن التشريع الرومانى اعتبر أن المرأة متاع مملوك للرجل ، وسلعة من السلع الرخيصة يتصرف فيها كيف يشاء أن الأنوثة سبب من أسباب انعدام الأهلية .

وجاء فى تشريع مانو إله الهند أن الوباء والموت والجحيم والأفاعى والنار خير من المرأة .

وجاء فى رسالة قديمة كتبتها إحدى سيدات الطبقة العليا بالصين قولها : نشغل نحن النساء آخر مكان فى الجنس البشرى ، ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمال . ورغم أن اليهودية دين سماوى فإن اليهود آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض ، فاعتبرت بعض الطوائف اليهودية البنت فى مرتبة الخادم ، ولأبيها الحق فى أن يبيعها وهى قاصر . وفى أوربا المسيحية كانت نظرتهم للمرأة أنها ينبوع المعاصى وأصل السيئة والفجور .

أما حالة المرأة فى الجاهلية قبل الإسلام فيكفى أن نقول إن وَأْدَ البنات انتشر بين معظم القبائل حتى جاء الإسلام فكان تقديره للمرأة كاملا شاملا ، وهو تقدير نابع من النظرة الموحدة للكون كله ، فالكون وحدة متكاملة خلقها إله واحد ، ورب واحد، وتساوت المرأة بالرجل فى التكاليف والحساب ، وفى الثواب والعقاب ، وفى المسئولية عن الأعمال الصالحة ، والأعمال الطالحة فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يشمل الرجال والنساء على السواء ، وجعل الله عز وجل معيار الأفضلية والتكريم والتميز هو التقوى .

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[1].

وكفل الإسلام للمرأة حرية الاعتقاد ، فلا اكراه فى الدين ، وجعل القرآن الكريم للمرأة الحق فى المبايعة على السمع والطاعة والقيام بحدود الشريعة وأحكامها ، وجعل الإسلام للمرأة الحق فى أن تشير وأن تستشار ، ورسول الله ﷺ نفسه أخذ بمشورة السيدة أم سلمة فى موقف عصيب عقب توقيع صلح الحديبية . وللمرأة الحق فى نقد

(١) سورة الحجرات ، من الآية : ١٣

زوجها ومراجعتة فزوجات النبى ﷺ كن يراجعنه ويناقشن أوامره ، وتهجره الواحدة منهن اليوم إلى الليل وشاركت المرأة فى الهجرة إلى الحبشة وهجرة بيعة العقبة الثانية والهجرة الكبرى إلى يثرب .

وشاركت المرأة فى الجهاد على عهد رسول الله ﷺ لخدمة الرجال وتمريض الجرحى ، وكان رسول الله ﷺ يقرع بين نسائه إذا أراد السفر لغزو أو حج . ولم يقف التشريع الإسلامى بالمرأة عند حد إباحة خروجها مجاهدة ، بل احترم أمانتها ، فلها الحق فى الإجارة والأمان وفى الخصومه والتقاضى ، فتكون مدعية ومدعى عليها ، وشاهدة ومشهودا عليها منفردة ومجتمعة وساوت الشريعة بين الرجل والمرأة فى الدماء ، فالرجل يقتل بالمرأة ، والعقيقه للذكر والأنثى على السواء ، وأعطى القرآن الكريم المرأة الحق فى التملك ملكا خاصا بها ، وهى صاحبة السلطان فى إدارته والتصرف فيه ، وليس للرجل حق التصرف إلا بإذنها ورضاها ، ولها الحق الكامل فى الميراث أما وأختا ، وزوجه وبنتا ، واعتبر الصداق حقًّا خالصًا لها .

ثم نتحدث : عن حق المرأة فى التعلم والتعليم . لقد سعت المرأة المسلمة إلى العلم منذ بداية عهد النبوة تتعلم من عقائد دينها وآدابه وعباداته ، وتتعلم ما ينفعها فى نظام بيتها وتربية أولادها ، وما يؤهلها لوظيفة الزوجة والأم . إن الإسلام يجعل العلم أساسا لخير البشرية ، ويجعل العلم فى إطار الأخلاق ، وبذلك يكون العلم قربى وعبادة إلى الله .

لذلك يجب أن يكون العلم باسم الله ، وفى إطار ما جاء بكتاب الله وسنة رسوله ، وليس باسم حضارة المادة والجنس ، حضارة الغرب التى تسير على مبدأ أن العلم لا صلة له بالأخلاق . و إذا كان التعلم والتعليم باسم الله فيجب أيضا أن يكون كل شىء باسم الله : قراءاتك باسم الله ، تحركك وعملك باسم الله ، حتى تكونى أيتها الأخت المسلمة موصولة بالله فى كل أمور حياتك وسكناتك .

ويجب على المرأة المسلمة وهى تعلم جيلا من الفتيات وتربيهم ألا تغفل دينها عن منهج تربيتها ؛ حتى لا ينفصل العلم فى أى فن من فنونه ولا فى أى لون من ألوانه عن الله .

ثم نواصل الحديث عن المنهج الإسلامى لخروج المرأة للعمل :

إن للمرأة مهمة تختلف عن مهمة الرجل ، فمن سنن الله سبحانه وتعالى أن تكون المرأة صالحة للحمل والولادة والإرضاع والحضانة ؛ لتتحقق ثمار الزوجية والأمومة ، وأن يكون الرجل صالحا لأعمال التكسب فى الخارج ونحوها .

والله سبحانه وتعالى خالق الرجل والمرأة قد هيأ كلا منهما وأعده لوظيفة خاصة ، ومنحه الاستعدادات اللازمة لأداء هذه الوظيفة ، فزودت المرأة بالرقة والعطف وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة والأمومة . وزود الرجل بالخشونة والصلابة وبطء الانفعال واستخدام الوعى والفكر .

لذلك فإن المرأة تتعامل مع أرقى الأجناس : تتعامل مع الزوج بالمودة والرحمة والعطف ، وتتعامل المرأة مع الإنسان جنينا فى بطنها ، ثم وليدا تحتضنه وترضعه ؛ لتخرجه إلى الحياة مزودا بكل المثل والقيم والمبادىء . وعليه فإن المرأة بتكوينها الجسدى والفكرى والوجدانى مهيأة لأعظم وظيفة ، وهى وظيفة الزوجة والأم .

إن البيت هو المكان الطبيعى لتحقيق المقاصد العليا الروحية والاجتماعية التى أرادها الله عز وجل بخلق الأنثى . وعليه فلا يجوز لها الخروج من بيتها إلا لمصلحة ولضرورة . إن العمل فى حد ذاته مشروع غير محرم على المرأة ، مادام فى غير معصية ، وبشرط ألا يستغرق وقتها وفكرها ووجدانها ، وبما لا يخرجها عن خصائصها ومقتضيات مهمتها الأساسية كزوجة وكأم ، وأن يكون ذلك لضرورة ، والضرورات تقدر بقدرها ؛ فإن تعليم البنات ، وتطبيب النساء ، والتمريض وما إلى ذلك من أمور ينبغى أن تقوم بها المرأة وقد وضع الإسلام الضوابط للضرورات الملجئة لخروج المرأة للعمل ، سواء كانت ضرورات فردية كمرض الزوج أو عجزه عن العمل أو وفاته وترمل زوجته فى وقت لا يوجد لها عائل مع عجز المجتمع عن إعالتها ، أو ضرورات اجتماعية كالتدريس للفتيات وتطبيب النساء وتمريضهم .

وهكذا نجد أن الإسلام فى كل أمور الحياة وضع المرأة موضع التقدير والاحترام ، موضع التبجيل والتكريم ، والله أسأل أن يوفق نساء المسلمات لأن يكن محلا لهذا التقدير وهذا الاحترام ، والله ولى التوفيق ، والحمد الله رب العالمين .

المؤلف

صلاح عبد الغنى محمد